المواكب

الخيرُ في الناس مصنوعٌ إذا جبروا

والشرُّ في الناس لا يفنى وإنْ قُبروا

وأكثرُ الناس آلاتٌ تُحركها

أصابعُ الدهر يوماً ثم تنكسرُ

فلا تقولنَّ هذا عالمٌ علمٌ

ولا تقولنَّ ذاك السيدُ الوقرُ

فأفضلُ الناس قطعاناً يسير بها

صوتُ الرعاةِ ومن لم يمش يندثرُ

❖ ❖ ❖

ليـــس فـــي الغابـــات راعٍ لا ولا فيـــــها القطيـــــعْ

فالشـــتا يمشـــي ولكـــنْ لا يجاريـــــــه الربيـــــعْ

خلـــقَ النـــاسُ عبيـــداً للـــذي يـــأبى الخضـــوعْ

فـــإذا مـــا هـــبّ يومـــاً ســـائراً ســـارَ الجميـــعْ

أعطنـــي النـــاي وغـــنّ فالغنـــا يرعـــى العقـــول

وأنـــينُ النـــاي أبقـــى مـــن مجيـــدٍ وذليـــلْ

ومـــا الحيـــاة ســـوى نـــوم تـــراودهُ

أحـــلامُ مـــن بمـــراد النفـــس يـــأتمرُ

والســرّ فـي النفس حـزن النفـس يسـترهُ

فـــإن تولـــى فبـــالأفراح يســـتترُ

والسـر فـي العيـش رغـدُ العيـش يحجبـه

فـإن أزيـل تولـى حجبـهُ الكـدرُ

فـإن ترفعـت عـن رغـدٍ وعـن كـدر

جـاورت ظـلَّ الـذي حـارتْ بـه الفكـرُ

ليس في الغابات حزنٌ ... لا ولا فيها الهمومْ

فإذا هبّ نسيمٌ ... لم تجيء معه السمومْ

ليس حزنُ النفس إلا ... ظلّ وَهْمٍ لا يدومْ

وغيومُ النفس تبدو ... مِنْ ثناياها النجومْ

أعطني الناي وغنِّ ... فالغنا يمحو المحنْ

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن يفنى الزمنْ

وقلَّ في الأرض من يرضى الحياة كما

تأتيه عفواً ولم يحكم به الضجرُ

لذاك قد حوَّلوا نهر الحياة إلى

أكواب وهم إذا طافوا بها خدروا

فالناس إن شربوا سُرّوا كأنهم

رهن الهوى وعلى التخدير قد فُطروا

فذا يُعربدُ إن صلى وذاك إذا

أثرى وذلك بالأحلام يختمرُ

فالأرض خمّارةٌ والدهرُ صاحبُها

وليس يرضى بها غير الألى سكروا

فإن رأيت أخا صحو فقل عَجَباً!

هل استظل بغيم ممطر قمرُ؟

ليس في الغابات سكرٌ ... من مدام أو خيالْ

فالسواقي ليس فيها ... غير إكسير الغمامْ

إنما التخديرُ ثديٌ ... وحليبٌ للأنامْ

فإذا شاخوا وماتوا ... بلغوا سن الفطامْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا خيرُ الشرابْ

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن تفنى الهضابْ

والديـنُ فـي النـاس حقـلٌ ليـس يزرعـهُ

غـيرُ الأُلـى لـهمُ فـي زرعـهِ وطـرُ

مـن آمـل بنعيـم الخلـد مبتشـر

ومـن جـهولٍ يخـافُ النـارَ تسـتعرُ

فـالقومُ لـولا عقـابُ البعـثِ مـا عبـدوا

ربـاً ولـولا الثـواب المرتجـى كفـروا

كأنمـا الديـنُ ضـربٌ مـن مَتـاجرهم

إن واظبـوا ربحـوا أو أهملـوا خسـروا

ليس في الغابات دينٌ ... لا ولا الكفرُ القبيحْ

فإذا البلبلُ غنّى ... لم يقلْ هذا الصحيحْ

إنّ دينَ الناس يأتي ... مثلَ ظلّ ويروحْ

لم يقم في الأرض دينٌ ... بعد طه والمسيحْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا خيرُ الصلاة

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن تفنى الحياةْ

❖ ❖ ❖

والعدلُ في الأرض يبكي الجنّ لو سمعوا

به ويستضحكُ الأموات لو نظروا

فالسجنُ والموتُ للجانينَ إن صغروا

والمجدُ والفخرُ والإثراء إن كبروا

فسارق الزهر مذمومٌ ومحتقرٌ

وسارقُ الحقل يُدعى الباسلُ الخطرُ

وقاتلُ الجسم مقتولٌ بفعلته

وقاتلُ الروح لا تدري به البشرُ

ليس في الغابات عدلٌ ... لا ولا فيها العقابْ

فإذا الصفصافُ ألقى ... ظلهُ فوقَ الترابْ

لا يقولُ السرو هذي ... بدعةٌ ضدّ الكتابْ

إن عدلَ الناس ثلجٌ ... إن رأتهُ الشمسُ ذابْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا عدل القلوبْ

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن تفنى الذنوبْ

والحـــقّ للعـــزم، والأرواحُ إن قويـــتْ

ســادتَ وإنْ ضعفــتْ حلــتْ بــها الغــيرُ

ففـــي العرينـــةِ ريـــحٌ ليـــسَ يقربـــهُ

بنـو الثعـالب غـابَ الأُسْـدُ أم حضـروا

وفـي الزارازيـــر جـــبنٌ وهـــي طـــائرةٌ

وفـــي الـــبزاةِ شـــموخٌ وهـــي تحتضـــرُ

والعـــزمُ فـــي الـــروح حـــقٌّ ليـــس ينكـــرهُ

عـزمُ السـواعد شـاء النـاس أم نكـروا

فـــإن رأيـــتَ ضعيفـــاً ســـائداً فعلـــى

قـــومٍ إذا مـــا رأوا أشـــباههم نفـــروا

ليـــس فـــي الغابـــات عـــزمٌ ... لا ولا فيـــــها الضعيـــــفْ

فـــإذا مـــا الأسْـــدُ صـــاحتْ ... لـــم تقـــلْ هـــذا المخيـــفْ

إنّ عـــــزمَ النـــــاس ظـــــلّ ... فـــي فضـــا الفكـــر يطـــوفْ

وحقـــــوق النـــــاس تبلـــــى ... مثـــــل أوراق الخريـــــفْ

أعطنـــــي النـــــايّ وغـــــنّ ... فالغنـــــا عـــــزمُ النفـــــوسْ

وأنـــــينُ النـــــاي يبقـــــى ... بعـــد أن تفنـــى الشـــموسْ

والعلمُ في الناسِ سبلٌ بانَ أوّلها

أما أواخرها فالدهرُ والقدرُ

وأفضلُ العلمِ حلمٌ إنْ ظفرتَ به

وسرت ما بينَ أبناء الكرى سخروا

فإن رأيتَ أخا الأحلامِ منفرداً

عن قومهِ وهو منبوذٌ ومحتقرُ

فهو النبيُّ وبردُ الغمدِّ يحجبهُ

عن أمةٍ برداء الأمس تأتزرُ

وهو الغريبُ عن الدنيا وساكنها

وهو المجاهرُ لامَ الناسُ أو عذروا

وهو الشديدُ وإنْ أبدى ملاينةً

وهو البعيدُ تدانى الناسُ أمْ هجروا

ليس في الغابات علمٌ ... لا ولا فيها الجهولْ

فإذا الأغصان مالتْ ... لم تقلْ هذا الجليلْ

إنّ علمَ الناس طراً ... كضباب في الحقولْ

فإذا الشمسُ أطلتْ ... من ورا الأفق يزولْ

أعطني الناياَ وغنّ ... فالغنا خيرُ العلومْ

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن تطفا النجومْ

والحـرُّ فـي الأرض يبنسي مـن منازعـهِ

سـجناً لـه وهـو لا يـدري فيؤتسـرُ

فـإنْ تحـرر مـن أبنـاء بجدتـهِ

يظـلّ عبـداً لمـن يـهوى ويفتكـرُ

فـهو الأريـبُ ولكـن فـي تصلبـه

حتـى وللحـقّ بطـلٌ بـل هـو البطـرُ

وهـو الطليـقُ ولكـنْ فـي تسـرعه

حتـى إلـى أوج مجـدٍ خـالدٍ صغَـرُ

ليس في الغابات حرٌ ... لا ولا العبد الذميمْ

إنما الأمجادُ سخفٌ ... وفقاقيعٌ تعومْ

فإذا ما اللوزُ ألقى ... زهرهُ فوقَ الهشيمْ

لم يقلْ هذا حقيرٌ ... وأنا المولى الكريمْ

أعطني الناياَ وغنّ ... فالغنا مجدٌ أثيلْ

وأتينُ الناي أبقى ... من زنيم وجليلْ

واللطفُ في الناس أصدافٌ وإن نعمت

أضلاعها لم تكن في جوفها الدررُ

فمن خبيثٍ له نفسان: واحدةٌ

من العجين وأخرى دونها الحجرُ

ومن خفيفٍ ومن مستأنسٍ خنثٍ

تكادُ تدمي ثنايا ثوبهِ الإبرُ

واللطفُ للنذلِ درعٌ يستجيرُ به

إن راعهُ وجلٌ أو هالهُ الخطرُ

فإن لقيت قوياً ليناً فبهِ

لأعينٍ فقدتْ أبصارها البصرُ

❖ ❖ ❖

ليس في الغاب لطيفٌ ... لينهُ لينُ الجبانْ

فغصونُ البان تعلو ... في جوار السنديانْ

وإذا الطاووس أعطي ... حلةً كالأرجوانْ

فهو لا يدري أحسنٌ ... فيه أم فيه افتتانْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا لطفُ الوديعْ

وأنينُ الناس أبقى ... من ضعيفٍ وضليعْ

والظـرفُ فـي النـاس تمويـهٌ وأبغضُـهُ

ظـرفُ الألـى فـي فنـون الاقتـدا مـهروا

مـن معجـبٍ بـأمورٍ وهـو يجهلـها

وليـس فيـها لـه نفـعٌ ولا ضـررُ

ومـن عتـيٍّ يـرى فـي نفسـه ملكـاً

فـي صوتـها نغـمٌ فـي لفظـها سـورُ

ومـن شـموخٍ غـدتْ مرآتـه فلكـاً

وظلـهُ قمـراً يزهـو ويزدهـرُ

ليس في الغابِ ظريفُ ظرفه ضعف الضئيلْ

فالضبا وهي عليلُ ما بها سقمُ العليلْ

إنّ بالأنهار طعماً مثل طعم السلسبيل

وبها هول وعزمْ يجرفُ الصلدَ الثقيلْ

أعطني النايَ وغنَّ فالغنا ظرفُ الظريفْ

وأنينُ الناي أبقى من رقيق وكثيفْ

والحبُّ في الناس أشكالٌ وأكثرها

كالعشبِ في الحقل لا زهرٌ ولا ثمرُ

وأكثرُ الحبِّ مثلُ الراح أيسرهُ

يرضي وأكثرهُ للمدمن الخطرُ

والحبُّ إن قادت الأجسامُ موكبهُ

إلى فراش من الأغراض ينتحرُ

كأنهُ ملكٌ في الأسر معتقلٌ

يأبى الحياةَ وأعوانٌ له غدروا

ليس في الغابِ خليعٌ ... يدعي نبلَ الغرامْ

فإذا الثيرانُ خارتْ ... لم تقلْ هذا الهيامْ

إنّ حبّ الناس داءٌ ... بين لحم وعظامْ

فإذا ولّى شبابٌ ... يختفي ذاك السقامْ

أعطني الناياَ وغنّ ... فالغنا حبٌّ صحيحْ

وأنينُ الناي أبقى ... من جميلٍ ومليحْ

❖ ❖ ❖

فـــإنْ لقيـــتَ محبـــاً هائمـــاً كلفـــاً

فـــي جوعـــه شـــبعٌ فـــي ورده الصـــدرُ

والنـاسُ قـالوا هـو المجنـونُ مـاذا عسـى

يبغـي مـن الحـب أو يرجـو فيصطـبرُ؟

أفـي هـوى تلـك يسـتدمي محـاجرهُ

وليـس فـي تلـك مـا يحلـو ويعتـبرُ!

فقـلْ هـمُ البـهمُ مـاتوا قبلمـا ولـدوا

أنّى دروا كُنْـهَ مـن يحيـي ومـا اختـبروا

ليس في الغاباتِ عدلٌ ... لا ولا فيها الرقيبْ

فإذا الغزلانُ جنتْ ... إذْ ترى وجهه المغيبْ

لا يقولُ النسرُ واهاً ... إنّ ذا شيء عجيبْ

إنما العاقلُ يدعى ... عندنا الأمرَ الغريبْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا خيرُ الجنونْ

وأنينُ الناي أبقى ... من حصيضٍ ورصينْ

وقلْ نسينا فخارَ الفاتحينَ وما

ننسى المجانينَ حتى يغمرَ الغمرُ

قد كان في قلب ذي القرنين مجزرةٌ

وفي حشاشة قيس هيكلٌ وقرُ

ففي انتصاراتِ هذا غلبةٌ خفيتْ

وفي انكسارات هذا الفوزُ والظفرُ

والحبّ في الروح لا في الجسم نعرفهُ

كالخمر للوحي لا للسكر والظفرُ

ليس في الغاباتِ ذكرٌ غير ذكر العاشقينْ

فالألى سادوا ومادوا وطغوا بالعالمينْ

أصبحوا مثل حروفٍ في أسامي المجرمينْ

فالهوى الفضاحُ يدعى عندنا الفتح المبينْ

أعطني الناياَ وغنّ وانسَ ظلمَ الأقوياء

إنما الزنبقُ كأسٌ للندى لا للدماء

وما السعادةُ في الدنيا سوى شبح

يُرجى فإن صار جسماً ملّه البشرُ

كالنهر يركضُ نحو السهل مكتدحاً

حتى إذا جاءه يبطي ويعتكرُ

لم يسعد الناسُ إلا في تشوقهمْ

إلى المنيع فإن صاروا به فتروا

فإن لقيت سعيداً وهو منصرفٌ

عن المنيع فقل في خلقه العبرُ

ليس في الغاب رجاءٌ لا ولا فيهِ الملل

كيف يرجو الغابُ جزءاً وعلى الكلّ حصلْ؟

وبما السعيُ بغاب أملاً وهو الأملْ؟

إنما العيشُ رجاءٌ إحدى هاتيك العللْ

أعطني الناي وغنّ فالغنا نارٌ ونورْ

وأنينُ الناي شوقٌ لا يدانيهِ الفتورْ

وغايةُ الروح طيُّ الروح قد خفيتْ

فلا المظاهرُ تبديها ولا الصورُ

فذا يقولُ هي الأرواحُ إنْ بلغتْ

حدَّ الكمال تلاشتْ وانقضى الخبرُ

كأنما هي أثمارٌ إذا نضجتْ

ومرت الريحُ يوماً عافها الشجرُ

وإذْ يقولُ هي الأجسامُ إنْ هجعتْ

لم يبقَ في الروح تهويمٌ ولا سمرُ

كأنما هي ظلٌّ في الغدير إذا

تعكرَ الماءُ ولّتْ وامحى الأثرُ

ظلَّ الجميع فلا الذراتُ في جسدٍ

تشوى ولا هي في الأرواح تحتضرُ

فما طوتْ شمألٌ أذيال عاقلةٍ

إلا ومر بها الشرقي فتنتشرُ

لـم أجـدْ فـي الغـابِ فرقـاً ... بـــين نفـــسٍ وجســـدْ

فالـــهوا مـــاءٌ تـــهادى ... والنـــدى مـــاءٌ ركـــدْ

والشـــذا زهـــرٌ تمـــادى ... والـــثرى زهـــرٌ جمـــدْ

وظـــلالُ الحـــورِ حـــورٌ ... ظـــنّ ليـــلاً فرقـــدْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ ... فالغنـــا جســـمٌ وروحْ

وأنـــينُ النـــاي أبقـــى ... مـــن عبـــوقٍ وصبـــوحْ

والجسمُ للروح رحمٌ تستكنُّ بهِ

حتى البلوغ فتستعلي وينغمرُ

فهي الجنينُ وما يومُ الحمام سوى

عهد المخاض فلا سقطٌ ولا عسرُ

لكن في الناس أشباحاً يلازمها

عقمُ القسيّ التي ما شدها وترُ

فهي الدخيلةُ والأرواحُ ما ولدتْ

من القفيل ولم يحبلْ بها المدرُ

وكمْ على الأرض من نبتٍ بلا أرجٍ

وكم علا الأفقَ غيمٌ ما به مطرُ

ليس في الغاب عقيمٌ ... لا ولا فيها الدخيلْ

إنّ في التمر نواةً ... حفظتْ سرّ النخيلْ

وبقرص الشهد رمزٌ ... عن قفير وحقولْ

إنما العاقرُ لفظٌ ... صيغ من معنى الخمولْ

أعطني الناي وغنّ ... فالغنا جسمٌ يسيلْ

وأنينُ الناي أبقى ... من مسوخ ونغولْ

والموتُ في الأرض لابن الأرض خاتمةٌ

وللأثيريّ فهو البدءُ والظفرُ

فمن يعانق في أحلامه سحراً

يبقَ ومن نامَ كلَّ الليل يندثرُ

ومن يلازم تربـاً حال يقظته

يعانق الترب حتى تخمد الزهرُ

فالموتُ كالبحر، من خفتْ عناصره

يجتازه، وأخو الأثقال ينحدرُ

ليس في الغاباتِ موتٌ ... لا ولا فيها القبورْ

فإذا نيسانُ ولّى ... لم يمتْ معهُ السرورْ

إنّ هولَ الموتِ وهمٌ ... ينشي طيَّ الصدورْ

فالذي عاش ربيعاً ... كالذي عاش الدهورْ

أعطني الناياَ وغنّ ... فالغنا سرُّ الخلودْ

وأنينُ الناي يبقى ... بعد أن يفنى الوجودْ

أعطني الناياَ وغنّ ... وانسَ ما قلتُ وقلتا

إنما النطق هباءٌ ... فأفدني ما فعلتا

هـل تخـذتَ الغـابَ مثلـي ... مـنزلاً دون القصـورْ

فتتبعـث السـواقي ... وتسـلقت الصخـور؟

هـل تحممـت بعطـر ... وتنشـقت بنـورْ

وشـربت الفجـرَ خمـراً ... فـي كـؤوس مـن أثـيرْ؟

هـل جلستَ العصـر مثلـي ... بـين جفنـاتِ العنـبْ

والعنـاقيد تدلـتْ ... كثريـاتِ الذهـبْ

فـهي للصـادي عيـونٌ ... ولمـن جـاعَ الطعـامْ

وهمـي شـهدٌ وهـي عطـرٌ ... ولمـن شـاء المـدامْ

هـل فرشـتْ العشـب ليـلاً ... وتلحفـت الفضـا

زاهـداً فـي مـا سـيأتي ... ناسـياً مـا قـد مضـى؟

وســـــكوتُ الليـــل بحـــرٌ موجـــه فـــي مســـمعكْ

وبصـــــدر الليـــل قلـــبٌ خـــافق فـــي مضجعـــكْ

أعطنـــي النـــايَ وغـــنّ وانـــــــــس داءً ودواء

إنمـــا النـــاسُ ســـطورٌ كتبـــتْ لكـــن بمـــاء

ليـــت شـــعري أي نفـــع فـــي اجتمـــاع وزحـــامْ

وجـــــدال وضجيـــــج واحتجـــاج وخصـــامْ؟

كلـــها أنفـــاقُ خلـــدٍ وخيـــوط العنكبـــوتْ

فـــالذي يحيـــا بعجـــز فـــهو فـــي بـــطءٍ يمـــوتْ

العيشُ في الغابِ والأيام لو نظمتْ

في قبضتي لغدتُ في الغابِ تنتشرُ

لكن هو الدهرُ في نفسي له أربٌ

فكلما رمتُ غاباً قام يعتذرُ

وللتقادير سبلٌ لا تغيرها

والناس في عجزهم عن قصدهم قصروا